

# البيت

## ليس فندقا ولا مطعما.

يحسن الانجليز حين يفصلون في اللغة بين المنزل وبين البيت . فالأول House أى البناء الذى يضم الأسرة والثانى Home أى الأسرة التى يجمعها الحب ويربطها الدم . والواقع أن لنا في اللفظين العربيين مثل هذا المعنى . فان بيت الرجل أسرته وهو غير المنزل الذى هو مسكنه . ومن الحسن أن تؤكد هذا المعنى لأن له مغزى اجتماعيا مفيدا .

ويزيد الانجليز على هذا المعنى معنى آخر وهم يشتركون في ذلك مع كثير من الأمم الأوروبية . فان للبيت عندهم اسما آخر هو لفظة Hearth أى الموقد الذى يجتمع حوله أعضاء الأسرة للاصطلاء . ويقابل هذه الكلمة عند الفرنسيين كلمة Foyer ولما كان البرد في معظم الأقطار الأوروبية يزيد على ثمانية أشهر في العام فان الموقد يجمع الأسرة نحو ثلثي السنة أو أكثر . وهم في هذا الاجتماع يتحدثون ويتسامرون . ومن طبيعة البرد أن يجمع ويضم ويكن ، في حين أن الحر أو الدفء يشتت ويعمل الافراد يجتهدون الى العزلة ويقصدون الى الخلاء . ولعل لتوافق الروابط بين أعضاء الأسرة في القرب أصلا في هذا الموقد الذى لا تخلو منه غرفة في منزل أوروبى . فان النار تجذب بالمتعها العين ، والدفء يريح الأعضاء ويرخى العضلات . فإس هو إلا أن يحضر الأب والأبناء حتى يتكأوا أمام الموقد فينار الحديث وتتصل الأرواح فهذا يثبت شكواه وذلك يقص اختباره وآخر يشرح إحدى الحوادث . ومن هنا صار الموقد يعنى البيت .

وليس في مقدورنا أن نحيل جونا الى البرد الذى يعانیه الأوربيون . وإن كان لنا في الأشهر الثلاثة التى ينالها منا الشتاء ما يبرر إيجاد موقد لكل منزل . فان ليالينا الشتوية تضطرننا إلى أن ينفرد كل منا بفرشه بعيدا عن سائر أعضاء الأسرة . ولو عنى أصحاب المنازل بتوفير المواقد في منازلهم لما كلفهم هذا نفقات كبيرة . وهم بذلك يخدمون الاجتماع المصرى ويعملون لربط الأسرة .

ولسنا نعنى تبرير الحال القسائمة في كثير من العائلات حين نجد رب البيت يهجره الى القهوة والأندية والملاهى . ولكننا لانستطيع أن نتعافى عن قيسة الموقد في الاجتماع . هذا الموقد الذى لا يزال يجمع أبناء الريف عندنا .

وبعد ذلك نقول إن بيننا من الأزواج بل من الشبان العزب من ينظرون إلى البيت كأنه فندق أو مطعم . يخرجون مبكرين إلى أعمالهم فإذا عادوا للغداء تناولوه في عجلة وصحت . ثم انكفأوا إلى الفراش للقبولة . وبعد ذلك يسرعون إلى الخروج حيث القهوة أو الملهى وإخوان الصفاء . ويعودون متأخرين إلى البيت للنوم . فاليوم عندهم فندق للنوم ومطعم للطعام . والزوجة والأولاد لا يتمتعون بالمؤانسة أو المسامرة التي هي من حقوقهم على الوالد . بل الوالد هنا يكاد ينسى واجباته نحو أبنائه بل هو ينتهي إلى أن يعتبرها "من شؤون الأم" ثم تتفاقم هذه الحال فيعتاد الزوج غشيان القهوة أو الملهى أو النادي كأنه لازمة لا يمكن الاستغناء عنها ويعتاد الانفصال من الزوجة كأنه في طبيعة الأشياء . ثم تنتج من ذلك نتائج تتفاقم وتسوء بمرور الزمن .

وأولها أن المزاملة بين الزوجين تنعدم ويصير لكل منهما أصدقاؤه . وهذا ضرر كبير في ذاته . لأن الزوجة في حاجة إلى إرشاد الزوج الذي تعلم في أغلب الحالات أكثر منها وعرف من الشؤون العامة والخاصة ما لم تعلم ، فمن واجبه كما من حقها أن تستشير بحديثه وأن تنمو معه نموا ذهنيا وثقافيا . وهو حين يفعل ذلك يأنس بها كما يجد أن أولاده يتفجعون بهذا النمو في تربيتهم التي يزيد حظ الأم فيها على حظ الأب . والزوجة المصرية التي يتركها الزوج والتي تقتصر معاشرته لها على المساكنة دون المزاملة جديرة بأن تتخلف عنه . ويزداد التخلف بمرور الزمن حتى تعود أغرب الغرباء عنه إذا تحدثت أو اشتركت معه في مناقشة ، لها عقائد خاصة وعادات خاصة وأسلوب معين في المعيشة لا يتفق والصورة التي ارتسمت في ذهنه من الأسرة فإذا وصلت الحال إلى ذلك شعر الزوج بالانفصال الروحي بينه وبينها ، وهو عندئذ قد يقع في مغريات تهتد بها كأن الأسرة وتشتت أفرادها . هذا الترك للبيت يؤدي الأولاد لأنهم يحرمون من النصيحة الأبوية ومن ميزات الثقافة والخبرة التي يجب أن يمتاز بها على الأم . ويحس بكل زوج أن ينظر في نفسه : هل يرى مثل هذه الصورة تنطبق عليه؟ وأن يسأل نفسه هل هو يعيش في منزل أم في بيت ، وهل هو يعامل زوجته كأنها زميلته ، وهل هو يقصد إلى تويرها وتثقيفها بالكتاب والجريدة والمجلة والمرافقة إلى الزيارات وإلى المتاحف والمسارح ؟

ولسنا نشكر أنه يشق أحيانا على الزوج أن يحمل زوجته على النمو الذهني . لأنها إذا لم تكن قد حصلت على تربية ثقافية متوسطة فقد يصعب عليها في كثير من الأحيان أن تسير زوجها أو تتبع إرشاداته . ولكن عليه الأيأس لأن اليأس هنا سيؤدي في المستقبل إلى الانفصال الروحي بينهما . وهو إذا ناب على المجهود فإن البزرة التي يزرعها سوف تبرز يوما إلى الحياة وسوف يبعد عندئذ في زوجته زميلا بل صديقا يشاق إلى حديثه وملازمته .

فلكى نجعل منازلنا بيوتنا نجحها ونؤثر الراحة فيها على القهوة أو الملهى يجب أن نتخذ من زوجاتنا زميلات لنا وذلك بتربيتهم حتى يرتفعن الى مستوانا فنشترك معهن في هموم وشؤون تربطنا . فاننا الآن قد نترك الزوجة لكي تتحدث إلى صديق في القهوة عن السياسة الخارجية أو الداخلية . فلم لا نتفق زوجاتنا حتى نستطيع أن نعلمهن وننيرهن في هذه الموضوعات فئاتنفس بحديثهن فيها ؟

يجب بعد ذلك أن نجعل البيت حاويا لكثير من المسليات التي نغرينا بالبقاء فيه . وهذه المسليات تختلف باختلاف القدرة المالية . فان الأسرة الثرية تستطيع أن تشتري مائة البليارد التي تكلف نحو خمسين جنيتها . ولكن الأسرة الفقيرة يمكن أن تمنع بصندوق الزرد أو الشطرنج ، كما أن الكمان أو البيان أو العود أو غيرها من الأدوات الموسيقية يجب أن تكون سلوة سامية لأحد أعضاء الأسرة أولهم جميعهم . ثم هناك هوايات مختلفة تغري بالبقاء في البيت مثل تربية الأشجار والنباتات الغريبة وإيجاد ملعب في الحديقة . وهنا يجب ألا نجعل قيمة الموقد التي شرحنا أثرها في أوربا .

والزوج الراق لا يمكنه أن يستغنى عن مكتبة . وهو يحسن إذا جعل من نفسه مستشارا فنيا يشير على زوجته وأولاده باختيار الكتب المفيدة . وصحيح أنه هنا يجد ركودا . ولما من الزوجة التي لم تتعلم . ولكن عليه بالمثابرة ولا بد أن يظهر للجهود أثره في المستقبل . كما أن عليه من وقت لآخر أن يحمل أعضاء الأسرة على زهة مفيدة إما الى متحف وإما الى حديقة بعيدة . فان الفائدة هنا لا تقتصر على ما يعود على الصحة الجسمية من الحركة والنزه ، بل هناك فوائد أخرى في مقدمتها أن يكون الزوج بين أولاده يربهم ويؤنسهم ويمتعهم بشخصه .

كذلك يجب إيجاد الأثاث المرشح دون الأثاث المنزخرف الذي يشيع في بعض الأوساط عندنا . كما أنه يجب — إذا تيسر ذلك — تخصيص غرفة للجلوس . فان غرفة الضيوف تعنى بها الزوجة عادة ، لأنها تحب أن تبقى ناصعة تفخر باناثها أمام الزائرين . ولذلك ينبغي أن تكون بكل بيت غرفة تعقد للجلوس حيث يجتمع أعضاء الأسرة . وعدم وجود هذه الغرفة قد يكون سببا لكراحتهم للاجتماع . بل يجب أن تكون هذه الغرفة خير مافي المنزل جامعة لاسباب المسرة والراحة .